المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢ محرم سنة ١٣١٨

الانسان والحيوان الاعجم

(١) انثى الغورلا (٢) امرأة من الهوتنتوت

أيدري من ينظر الى هاتين الصورتين ان اليمنى منهما صورة رأس قردة من القرود المعروفة بالغورلا وقد هُذّب شعرها بعض التهذيب . واليسرى صورة رأس امرأة من نساء الهوتنتوت سكان مستعمرة الراس الاصليين في جنوبي افريقية. ويكاد الشبه يكون تاماً بين هاتين الصورتين حتى لو وضعت بجانبهما صورة رأس امرأة من الجنس القوقاسي لظهر لاول وهلة ان الفرق بين شكل القوقاسية والزنجية اعظم من الفرق بين شكل الزنجية وانثى الغورلا. أنظر الى غور الذقن وبروز الفم وبرطمة الشفتين وفطس الانف وارتفاع الحجاج فانك تكاد تجد الغورلا ارقى من الزنوج في ذلك كله . اما الجبهة فاعرض في الزنجية والاذن اصغر والجمجمة اوسع ولولا ذلك لحكمنا ان الغورلا مثلها او ارقى منها

ثم اذا قابلتَ بين ادمغة القرود والمتوحشين والمتمدنين رأيتها متدرجة وتكاد ادمغة المتوحشين تكون اقرب الى ادمغة القرود شكلاً منها الى ادمغة المتمدنين كما ترى في الشكل الثالث والرابع والخامس فان الاول منها صورة دماغ قرد من القرود الكبيرة المعروفة بالاراغ اوتانج والثاني صورة دماغ امرأة من نساء البشمن سكان جنوبي افريقية الاصليين وهي المعروفة بزهرة البشمن ويرى جسمها مصبّرًا في باريس حتى الآن. والثالث صورة دماغ غوس العالم الرياضي الشهير. واذا كانت الحيرة بكثرة التلافيف وغورها فدماغ المتوحشين متوسط بين ادمغة المتمدنين وادمغة القرود وقد تكون اقرب الى ادمغة القرود منها الى ادمغة المتمدنين

(٣) دماغ الاراغ اوتانج

(٤) دماغ زهرة البشمن

(٥) دماغ غوس الرياضي

واذا عدنا الى شكل الجسم كله الى الهيكل البشري والهيكل الحيواني رأينا بينهما مشابهة كبيرة فلا تكاد توجد عظمة في هيكل الانسان الاّ وتوجد عظمة مثلها شكلاً ووضعاً في هيكل الحيوان ولاسيما الحيوانات القريبة من الانسان شكلاً كالغورلاّ والشمبانزي والأُراغ اوتانج وهي ارقى انواع القرود. ترى في الشكل السادس والسابع صورة هيكل الانسان وهيكل الشمبانزي. فالراس والعنق والصدر والجذع والذراعان واليدان والساقان في كل ذلك من المشابهة ما يقضي بالعجب ولكن

ما من عظمة في القرد الاَّ وتختلف عما يماثلها من عظام الانسان اختلافاً يراهُ علماء التشريح جلياً ولو لم يرَهُ سواهم. وقد يكون الاختلاف ظاهراً كما في شكل القدمين حتى حسبت قدما القرد يدين ولقبت القرود بذوات الايدي الاربع لكن المدققين من علماء الحياة عادوا فاثبتوا ان قدمي القرد كقدمي الانسان ولو مائل شكلهما الظاهر يديه . وهذا ايضاً لم ينفِ ما تقدَّم من ان كل عظمة من عظام القرد تفرق عما يقابلها من عظام الانسان

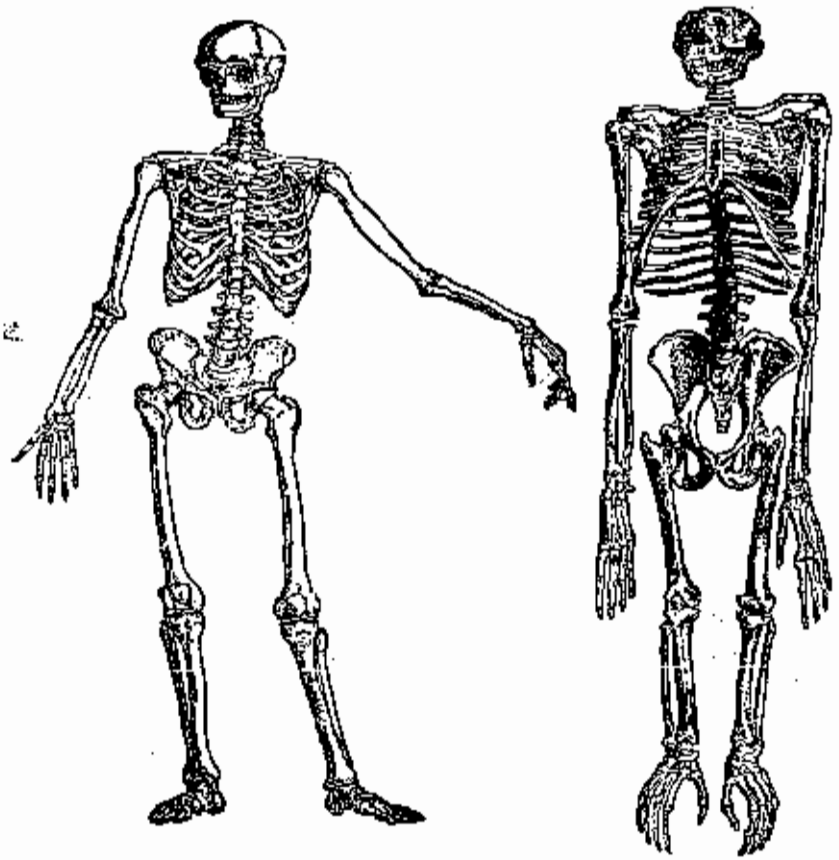

(٦) هيكل الشمبانزي (٧) هيكل الانسان

وكذلك شكل الانسان الظاهر وشكل القرد الظاهر فان بينهما اختلافاً كبيراً كما ترى في الغورلا المرسوم في الشكل الثامن فانهُ لا يكاد يفرق عن الدب في يديهِ ورجليهِ وسائر بدنهِ ما خلا رأسهُ . وفي ذلك كلهِ من الهيئة الوحشية ما يبعدهُ عن كل طوائف الناس مهما انحطت ناهيك بشعرهِ الذي يغطي بدنهُ كلهُ كما يغطي الشعر بدن الادباب والضباع فتبطل

عليهِ الامطار الغزيرة وهو جالس القرفصاء لا يشكو ضيماً لان المطر يقع على شعرهِ الطويل ويجري عليهِ فلا يناله منهُ بلل

وكان الكتّاب الاقدمون ومنهم كتّاب العرب يقولون ان الانسان في جسمهِ حيوان لا فرق بينهُ وبين العجماوات الاَّ كالفرق بين نوع وآخر من انواعنا . وكانوا يحسبون القرد قادراً على كل ما يقدر عليهِ الانسان من الاعمال والصناعات لكنهم لم يبحثوا في هل الانسان مرتقٍ من العجماوات ارتقاء او هو مخلوق كذلك منذ اول عهدهِ لان القول بانهُ مخلوق كذلك عليهِ

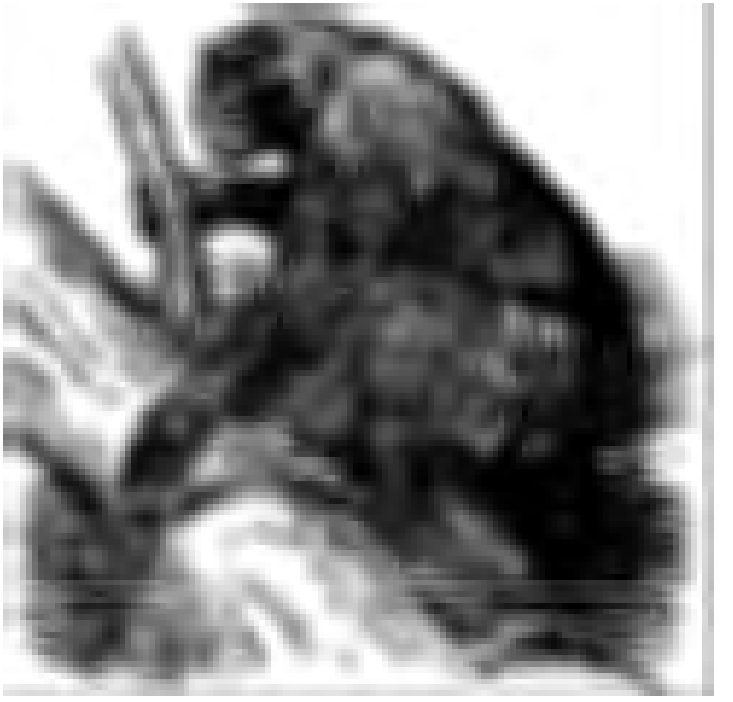

(٨) الغوريلا

نص صريح في اكثر الكتب الدينية فلا سبيل الى الشك فيهِ. الى ان كان القرن الماضي فذهب بعض العلماء ومنهم بفون ولامارك واراسموس دارون جد تشارلس دارون الى ان جسد الانسان لم يكن من اول عهدهِ كما نراهُ الآن بل كان مثل اجساد بعض القرود ثم تغير رويداً رويداً فبعُد بعضهُ كثيراً عن الصورة الوحشية وبقي البعض الآخر قريباً منها وهذا سبب الفرق الكبير بين المتمدنين والمتوحشين من نوع الانسان

ثم بحث الشهير تشارلس دارون في هذا المذهب وجمع الادلة الكثيرة عليهِ في كتابهِ

المعنون بتولُّد الانسان وارتأى ان بعض الاسباب الطبيعية كالانتخاب الطبيعي والجنسي كان لحدوث ما حدث من التغير المتوالي في جسم هذا الحيوان حتى صار انساناً . وتبعهُ في ذلك جمهور كبير من العلماء الطبيعيين ووافقوهُ كلهم اجمالاً في تولُّد الانسان والانواع كلها بعضها من بعض ولو خالفوهُ تفصيلاً في اسباب هذا التولد وفي ايها اقوى من غيره . لكن بقي فريق من العلماء الطبيعيين وجمهور كبير من الفلاسفة يقول ان الانسان خُلق مستقلاً في الصورة التي نراهُ فيها الآن او ان جسدهُ ارتقى ارتقاء بالنشوء الطبيعي واما نفسهُ فاعطاهُ الله اياها مباشرةً . وفي الوقوف على آراء الفريقين من اللذة العقلية ما لا يُرى في افكه الروايات الغرامية

ولا نعرف الانسان الأَ منتصب القامة بادي البشرة ناطقاً عاقلاً يصنع الآلات والادوات ويضرم النار يتدفأ بها ويصلح طعامهُ . هذا شأنهُ الآن مهما انحطَّ وتوغل في الهمجية كما ترى

(٩) صورة الحموث على قطعة من عاجٍ

من الفصول الكثيرة التي نشرناها في العام الماضي عن سكان استراليا الاصليين . وهذا كان شأنهُ في اقدم العصور الجيولوجية التي وُجدت فيها آثارهُ . ففي الصناعة كان يصنع القسي والسهام والحراب وقد مهر في كسر حجارة الصوان حتى صنع منها نصالاً لسهامهِ يعجز ابناء هذا العصر عن الاتيان بما يفوقها اتقاناً . وكان يصور الحيوانات التي كانت معاصرة لهُ وقد بادت الآن كالحموث او الفيل الكبير الذي توجد آثارهُ في طبقات الارض وتحت ثلوج سيبيريا كما ترى في الشكل التاسع وهو صورة هذا الحيوان على قطعة من عاجٍ نقشها الانسان الوحشي في غابر الازمان لما كان معاصراً لهُ

وهو الحيوان الوحيد الذي يضرم النار ويصلح بها طعامهُ . ولا نعلم كيف اهتدى الى اضرامها اولاً ولكن لا يبعد انهُ رأى الشرر يتطاير من وقوع حجر على آخر اي رأى النار تضرم من احتكاك الحجارة والمعادن فاستخدم الاحتكاك لاضرامها او جلبها من جوار البراكين او

المناجم الكبريتية فاحتفظ بها للدفاع اولاً ثم لاصلاح الطعام

وهو الحيوان الوحيد الذي تسلح وهاجم اعداءهُ باسلحة صنعها من الحجارة والمعادن . ولا عبرة بما يفعلهُ الفيل احياناً فانهُ قد يكسر غصناً من الاشجار ويذب به الذباب اما الانسان فيهجم على عدوهِ هجوماً بالاسلحة التي يتخذها لذلك وقد تدرَّج في هذه الاسلحة من الحجارة والعظام الى المعادن على انواعها والآن يقتل خصمهُ بمقذوفات يقذفها اليهِ فتصلهُ على عشرة اميال او اكثر

وهو الحيوان الوحيد الذي سلخ جلود الحيوانات وارتدى بها وازدان بريش الطيور وصدف البحار وصنع القوارب وعبر بها الانهار وخاض لجج البحار. ومن تلك المبادىء الطفيفة نشأت معامل الغزل والنسج وصُنعت البواخر والبوارج . وتلك المبادىء لم تزل شائعة عند المتوحشين لا يعرفون غيرها ولكنهم اذا اقتبسوا العلوم والفنون من المتمدنين اقتدوا بهم في اللباس والزينة وشاركوهم في كل اساليب الحضارة ولوازمها كما ترى في ما كتبناهُ عن وشنطون بوكر ومدوسة تسكبي في الجزء الاول من اجزاء هذه السنة

وقد اختلف الباحثون في وطن الانسان الاول فاهل الكتاب مختلفون في مكان جنة عدن والنشئيون مختلفون في المكان الذي ظهرت فيهِ التغيرات الكبيرة في الحيوانات التي تولَّد الناس منها. والرأي الشائع عندهم ان هذا المكان في جنوبي اسيا او قلب افريقية اي في الاماكن الحارَّة التي توجد فيها القرود الشبيهة بالانسان. وهو اما قد يكون قد ارتقى من اصل واحد في مكان واحد ثم تفرَّق وتشعب او من اصول عديدة في اماكن مختلفة ثم امتزج بعض الامتزاج . ومجال البحث في ذلك واسع جداً ولا يتجاوز اكثرهُ الظنون والمرجحات

و يظهر من آثار الانسان انهُ كان في اول عهدهِ يعيش بالصيد والقنص فان آثارهُ الباقية في الكهوف القديمة يوجد معها صنانير وحراب مما يستعمل في صيد السمك والوحوش . ولكن يرجح انهُ كان يغتذي ايضاً بما يجمعهُ من الاثمار والجذور والبزور شأن المتوحشين في اكثر البلدان النائية . والظاهر انهُ اتقن صناعة الصيد قبلما اعتنى بفلاحة الارض فبرع في عمل الحراب والقسي والسهام قبلما حرث الارض وزرعها

وقد قسم بعضهم تاريخ الانسان من هذا القبيل الى ثلاثة ادوار دور الصيد والقنص ودور الرعاية اي الاغتذاء باثمار الارض وجذورها من غير حرث ولا زرع ودور الفلاحة حينما صار يحرث الارض ويزرعها . وهذه الادوار الثلاثة لا تزال موجودة حتى الآن

ومن مزايا الانسان انهُ ربّى بعض الحيوانات واستخدمها في اعماله والمظنون انهُ ربّى

الكلب اولاً ثم الخنزير ثم الايل ثم الغنم فالبقر فالخيل فالمعزى فالجمال فالاتيال فالقطط

وسارت بعض طوائف الانسان سيراً حثيثاً في سبل العمران حتى بلغت في الصين والهند والعراق ومصر مبلغاً عظيماً منذ ألوف كثيرة من السنين . وكان الفرق بين سكان تلك البلدان وبين مجاوريهم كبيراً جداً حتى قبل عصر التاريخ . فان الاختلاف في اللون والهيئة بين الزنجي والحبشي والمصري والشامي كان واضحاً حينئذٍ كما هو الآن بدليل ما يرى من الصور المرسومة في الآثار المصرية من عهد الفراعنة الاولين كما ترى في الشكل العاشر

وهذا لو اقتصر امتياز الانسان على ما منهُ نفع لهُ او دفع ضرعنهُ ولكنهُ تناول ايضاً شروراً لم يأتها الحيوان الاعجم كشرب المسكرات والمخدرات والمشبهات على اشكالها وانواعها.

(١٠) اسرى المصريين

وتطرّف ابن آدم في الحرب حتى فاق المجاوات وفاتها بمراحل كثيرة فان المجاوات تقتتل ولكنها قلما تفعل ذلك على اسلوب منتظم الاّ اذا صحّ ما يروى عن النمل وجيوشهِ التي يحارب بعضها بعضاً حروباً منتظمة . واذا صحّ كل ما يروى عن النمل فيكون هو الحيوان الوحيد الذي شارك الانسان في حرث الارض وزرعها وخزن الحبوب والمؤن وتربية المواشي وتعليفها

ثم اذا التفتنا الى نظام العائلة ودرجات ارتقائهِ وتدرّجنا الى الشعائر الدينية وسلطتها على نفس الانسان والى الآداب والفضائل رأينا البعد بينهُ وبين الحيوان الاعجم يزيد اتساعاً حتى لا يبقى سبيل للريب في ان المرتقين من نوع الانسان قد بعدوا بعداً شاسعاً عن شركائهم في الحيوانية سواء كان ارتقاؤهم هذا خاضعاً لسنن طبيعية سنها الله لهذا الكون اوناتجاً عن عناية خاصة خارقة لسنن الطبيعة